

أو آجلا - ملاق سنان الموت يبرق أصلع، ذلك بأن من شأنه أنه مغرى بالعدو يترصدهم ويتتبعهم فيقتلهم، لابد مصادف مصرعه كما صادفوا هم كثيرا على يديه مصارعهم.

قلت: أحياء هذه تستحق أن يحياها الإنسان هكذا قائلا أو قتيلا: أسنة براءة ودماء مهراقة، وإنسان يكاد يكون وحشا، ووحوش تكاد تكون أناسى من طول ما عاشرها وساكنها. فتركها ترتع أو لآن شاءت تقبع في كنسها آمنة مطمئنة بقدر ما هو آمن مطمئن ساكن اليها حتى لكأنه وإياها جماعة من فصيلة بعينها لا تختلف بل تأتلف أوثق ما تكون الألفة. أفليس ذلك هو قلب الوضع ومناقضة الطبع. فشان الآدميين - طبيعة - أن يأتلفوا وأن يكونوا قوة تدفع الوحوش وتمنعها مراتها، بل تلج عليها أغيالها ومرابعها، فهي مسخرة لبني آدم دماؤها ولحومها وجلودها وأوبارها وأشعارها. فماذا كان يضير صعلوكنا هذا الفاتك، لو أنه جادل عدوه بالتي هي أحسن فتفاهم وإياهم، فخالفهم فتعاونوا فقاوموا جميعا تلك الوحوش. بل الطبيعة كلها، حيوانها - غير الإنسان - ونباتها وجمادها: أنواء وعواصف وسيولا وقواصف وبوارق وصواعق، وشرورا كثيرة كبيرة جديرة تستنقذ الطاقة الإنسانية، تلك التي تبددها في غير ما وضعت له، إذ يقتل بعضنا بعضا فتخرب الكرة الأرضية، في حين أنه سبحانه وتعالى إنَّما استخلفنا فيها لنعمرها، وها نحن أولاء موشكون أن ندمرها ...

قال: رويدك بعض غلوائك. فلقد تركتك تهذى ما شاء لك الهذيان، فما كان حديثك هذا ليوائم صعلوكنا العزيز تأبط شرا. بل ما كان ليفهمه لو أنه نفص غبار أربعة عشر قرنا واستجم واستحم ثم قعد مقعدى هذا منك... أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى، أن تدع تأبط شرا في ظلمات العصور والدهور التي توالى ثم ولت مذ قتله قاتلوه وتركوه بين الصخور. ثم تتحدث هاويا ما شئت إلى أمم ممن معك على الأرض ممثلة في أحسن من يمثلها من بينها النجوم المضيئة في أجمل آفاق البشرية حيث يستمعون القول ويسجلونه وتطير به البوارق في سائر الآفاق حتى